قصة
عشق العبث
جمال بن عبد الله الحيان

الترقيم الدولي :

ISBN : 368-7543-65-49007

مراجعة وتحقيق :

الشرطي الخل والصديق

تقديم :

ولعل من نافل القول أن نشغلكم بمواضيع التقديم ، ولكننا سنعوض ثقل العبارة في البداية بحيوية السياق حتى النهاية ، بالاعتماد على الطاقة الإيحائية "النّعمة" التي أنعم الله علينا بها، فاللهم أنزل علينا شآبيب رحمتك .

للقراء النابهين أقول :

إن الكتابة فنّ يحتاج مقدما عليها أكثر جسارة ، لوعورة المسلك وعسر المهلك ، إلا ما كان من سفسطة لا فائدة منها .

فإجادة الوضع وإتقان الجمع لهو المسلك الوعر، فاللهم أكرمنا بإجادة الوضع ، وجنبنا رداءة الجمع .

نكتفي ...

والحمد لله العزيز ، استغراقا لكل أنواع الحمد بهذا الكلام الوجيز .

جمال بن عبد الله الحيان .

تأبط ذراع فيروز بلا وجل ولا خشية ، غمرتهما السعادة والهناء ، وقد جرى بينهما حديث شيق ممتع ، أحسا فيه بحاجة شديدة إلى المناجاة والغزل ، شيء أثار مشاعرهما وأجج أحاسيسهما ، وهما يقضيان كل يوم ساعات من شجون الحب .

هي سيدة لطيفة رقيقة ، كان أقصى ما تتمناه وأجمل ما تتلهف له ، صحبته والظفر به .

قال في لهجة ذائبة :

ــ أرى أن نظراتك لم تعد تخفي شيئا ، أرى فيهما الحب والأمل ، إن لم أقل وجدا وصبابة .

أغرقها بسيل من الأمنيات العذبة التي أخذت تدفق أفكارها منطلقة في بيداء التخيلات والأوهام .

صمتت صمت التحفز والاستعداد ، فصدر منها ما يشبه الهمس ، لقد كانا في معزل عن العالم ، لا تسمع سوى نقيق الضفادع ، وأطراف الشجر والحشائش التي تتفاعل مع رياح النسيم الباردة ، كان همسها فرحة حملت الكثير من الخفة والطيش والنزق ، إلا أنها صارت مخلوقة جادة تكره العبث ، لقد تغيرت الأمور وتطورت بشكل مفاجئ ، فبكثير من خيبة وضيق ، وفي لهجة مقتضبة يملؤها كثير من الارتباك والخشية :

ـــ هل سنتزوج بالفعل أم أنك كغيرك من الرجال ...!!

أحسّ معتز بخليط من الضجر والفشل ، وكانت الأفكار تصطخب في رأسه :

ـــ هي إنسانة نموذجية ، رائعة ، ولكن ...!!

تردد الجواب في عقله ، و زادته منفعلة :

ـــ كيف عميت بصيرتي عن إدراك نواياك الخبيثة ...

راج صمت طويل ، صمت الإحساس بالخطإ ، لقد كانت تقف بقلق وإحساس بالوزر، و كان هو يشعر بفداحة الذنب وعظيم الجرم ، قلقٌ جدا ، كمقبل على مغامرة أو أمر خطر ، فهو لم يحبها قط ، هو مجرد مشفق وفَى بوعده لها أنه سيبقى بجنبها دائما وأبدا ، غير مهتم بالزواج من الأساس .

لقد أصابها ذهول من موقفه الواضح ، وهي شاردة واجمة ، دافنة رأسها بين راحتيها كأنها تقاوم ألما عنيفا ، فمن الحمق والوقاحة أن يعيش حرا طليقا ، متقلبا بين أحضان النساء ، وبين عشية وضحاها يصبح أسيرا داخل قفص من حديد ملؤه القيح والقطران ، هكذا كان يقول بين أقرانه وأفراد عشيرته .

ضحك ملء شدقيه وهو يفكر في كل الحلول .

نطقت :

ـــ هكذا ببساطة ...تضحك ...

لقد عرضت سمعتي للأقاويل والشبهات ، ولكني سآخذ هذه التجربة جرعة واحدة كما نفعل بالدواء المر ، لقد كنت أراك أكثر بهاءا وأكمل رونقا ، كشيء مهم في هذا البلد الذي ليس به أي شيء مهم .

لقد كانت تتكلم منفعلة بآكية ، والغمازتان تضفيان عليها نوعا من الفتنة ، وشعرها ينسدل على كتفيها ، وهو قرير بآماله فيها ، وهي لا تدع له أي مجال للتروي والتمهل .

أجابها :

ــ إن من الناس من يجيدون التلفظ والتشكك وإثارة الإشاعات ، فلا يهمنك ذلك في شيء ، والمهم أننا لم نفعل شيئا يستحق كل هذا الجدال .

بدت واجمة كبومة جائعة ، وقد تغيرت ملامح وجهها المميز الصبوح الضاحك ، فلم يكن أمامها سوى الاستسلام ...

أراد أن يزيل عنها العبوس وأثر نهره و زجره لها فقال :

ــ فراقك تدمير لحياتي ، وتبديد لسعادتي ، فاعتبريني في حكم الأموات إن تخليت عني ، أنت المميزة بدقة قسماتك ، ودائم بسمتك ، والفرجتين في طرفي شفتيك ، فلا تقلقي ، أنا معك حتى النهاية .

مرت تلك الجلسة كسائر الجلسات السابقة ، وافترقا إلى حين .

دخلت فيروز إلى البيت متعبة منهكة القوى ، وهي واجمة تحسب عدد الأيام منذ أول وصال ، استلقت في فراشها متمطية متثائبة ، ولا تكاد تخلو إلى نفسها حتى تتخيله بجوارها ، تكنّ له حبا خاصا ، وقد أوردها هذا الحب موارد المذلة والضعف والحاجة .

"قاتل الله كل قلب مرهف خفاق".

تحبه بكل جارحة في نفسها ، ولكن ما بالها قد أصابها هذا الغثيان والانهيار ، لقد ظلت تجنب نفسها شر رغائب النفس ، وهي الآن تتذوق ذلك السوط الموجع الأليم ، فكيف ستكون حالَ نبش ماضيها ذات يوم ، وأخيرا نهضت متثاقلة ، لقد رضخت لسلامة تفكيرها ، أصبحت مخلوقة بعقل وبلا حس ، نطقت في همس ووجل :

ـــ كان أكثر جدية في خبه وأشد هياما وهو يصوب إلي سهام الغزل والحب والتودد، وما انفك حتى اندمجت معه في أدوار العشق والصبابة ... يا له من محتال .

كان بالجو رياح باردة شديدة ، وستر الظلام بدأت في التهدل ، وهي ترقب ظهور القمر كأنه رسول قد حمل رسالة الانعتاق والتحرر ، كي يريحها من ذنبها وغطرستها .

قطبت جبينها ، وكست وجهها سيماء التهجم ، والخجل يتملكها ، فقريبا ستصبح محل استهزاء وسخرية .

ـــ سأذهب غدا لإجراء الفحوصات وسأرى ...!!

كانت طويلة اللسان قوية الحجة ، استيقظت باكرا في انشراح كأنها ذاهبة إلى حفلة لطيفة، وبها شيء من الحبور والرضا ، وهي تتذكر في كل لحظة الهجوم العاطفي الصبياني الأول

الذي أحالها لعالم الذل والانتكاسة ، و أصرت على احتقاره في خيالها ، ففي كل لحظة وحين تقمع تلك النفس الساذجة ، صارت قليلة الأدب في مخاطبة نفسها الغرارة .

انتظرت تحاليل الطبيب ، وقد انتقلت إلى حيز مجهول واسع من التوهمات ، وهي تتجول في ربوع الماضي ، فلم اللوم والعتاب وقد وقع ما وقع ، لقد كانت نزوات طيش ، أهيج للعلة وأيقظ للداء ، تتذكر بصدق جلسات النشوة تلك ، تتذكرها بكل ألم ، بعد أن كانت سابحة في بحر الشهوة مستمتعة غير مكترثة ، كانا هائمين كفراشتين في بحر من الأوهام .

خرج الطبيب وبمجرد أن رأته انتقلت من العالم المجهول الواسع إلى المعلوم المعروف المحدود، إنه الواقع ، رن هاتفها والمتصل معتز ، يريد أن يطمئن أو بالأحرى أن يسمع خبرا يريحه ، ولم يزدها اتصاله إلا بؤسا وسآمة .

ظلت فيروز هائمة الروح ضالة النفس ، وقد اكتشفت الحقيقة ، حقيقة الاستغلال ، فعلى من اللوم وقد مكّنت له عن طيب خاطر .

فوسط السكون السائد ، ووسط الفراغ الخاذل ، حاولت أن تسكت ذلك الطنين الموهوم ، والوحشة الجاثمة .

نطق الطبيب ألا شيء من ذلك قد وقع ، وأنه مجرد تسمم غذائي سبب لها الغثيان والدوار، وما إن سمعت كلامه حتى تهاوت على المقعد ، وقد أعطتها الحياة فرصة أخرى، فرصة لا تعوض ، فرصة الشرف وبداية حياة جديدة .

وهي مغرقة في الهدوء والسكينة بعد ارتياع وذعر ، وقد أمدتها الحياة بأيادي الود ورغبة المساعدة ، بعد أن كانت حزينة إلى حد تساوت لديها فيه جميع الأشياء ، كانت مبددة إلى درجة التلاشي ، غارقة في صمت وحزن وقد استبدها اليأس وقهرها التخاذل .

فتحت الهاتف من جهة البطارية ، واستخرجت بطاقة الهاتف ، كسرتها أمام الطبيب كأول خطوة لها نحو تلك الحياة النقية الصافية ، حياة العفة والعزة .

فطن الطبيب لسبب ذلك وقد فهم كل شيء دون أن يطرح أية تساؤلات بحكم تجربته الراسخة وهو يقول مبددا ذلك الجو المشحون :

ـــ كلنا ذئاب آنسة فيروز ... احترسي وإياك أن تنخدعي مرة أخرى .

نظرت إليه باستخفاف وهي ترفع حاجبيها ، فقد أصبحت لا تراه سوى ذئب آخر يتربص الفريسة من وراء قناع النصيحة .

أجابته بزفير المدرك ، وانصرفت كي تلحق بركب فرصتها الأخيرة ...

انتهى بفضل الله وكرمه في 15 محرم 1442 هـ الموافق ل 3 شتنبر 2020 م